محمّد بودية السّنة الأولى ماستر

أستاذ محاضر تخصّص لسانيات تطبيقية

محاضرات في اللّسانيات وقضاياها

المحاضرة الرّابعة: التّوجه البنيوي الوظيفي عند أندريه مارتني

(André Martinet)

ولد "**أندريه مارتني**" سنة 1908 في مقاطعة السافوا Savoie بفرنسا. تخصّص في اللغات الألمانية[1]. وتقلّد مجموعة من المناصب، منها مدير المجلة اللسانية النيويوركية "الكلمة" (Word) وكان ذلك سنة 1948، كما عمل أستاذا في السوربون بداية من سنة 1960، ومديرا للدّراسات العليا في معهد الدراسات العليا بباريس، كما شارك في أعمال نادي براغ الألسني.

تشكّلت آراء **مارتني** الوظيفية في مجموعة من المحاور تمثلت فيما يلي:

- وظيفة اللغة La Fonction de la langue
- التّقطيع المزدوج La Double articulation
- مفهوم الملاءمة La Pertinence
- الاقتصاد اللّغوي L'économie de la langue
-

1- وظيفة اللغة La Fonction de la langue:

كان أوّل ماركّز عليه "**أندريه مارتني**" في أبحاثه ودراساته هو الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، وهو مفهوم استقاه من حلقة براغ، وتتحقّق هذه الوظيفة داخل المجتمع الذي يتكلّمها، فاللّغة بهذا المعنى أداة يستعملها أبناء المجتمع الواحد في بيئة معينة، بغية تحقيق تواصل فيما بينهم، غير أنّه إذا كان التواصل هو الوظيفة الجوهرية للّغة إلا أنّ **مارتني** "لا ينفي بقية

[1] ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص252.

الوظائف التي تؤدّيها اللغة، بل يُقرّ بها ويعتبرها ثانوية، كما يرى أنّ اللغة ليست نسخا للأشياء ونقلا آليا لها، بل هي بُنى منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلّع المتكلّم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية"[2].

ويرى **مارتني** – كغيره من البنيويين– أنّ اللّغة بنية تتكون من عناصر لغوية مختلفة، يؤدّي كلّ عنصر منها وظيفة معينة تسهم هذه الوظيفة في تأمين استمرار الوظيفة الجوهرية وهي التّواصل[3].

كما تتحدّد طبيعة التركيب الوظيفي انطلاقا من الصلات والعلاقات القائمة بين هذه العناصر، وعلى رأسها المونيمات (Les monèmes). وهي الوحدات الصغرى الدّالة. وفضّلها الوظيفيون على مصطلح الكلمة، لما تحتويه من دقة واستيفاء للدلالة الصّحيحة على المعنى. وهذا ما صرح به **أندريه مارتني** عندما قال:" إنّ ما ندعوه كلمة هو على الأغلب، وبتعابير وظيفانية مونيم وحيد أو مصحوب بكيفياته (أي بمحدداته التي لا يمكن تحديدها) وبميزات وظيفته إذا تأخرت هذه الكيفيات وهذه العناصر الوظيفية عنه في السلسلة[4].

---

[2] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ص104.

[3] André martinet , éléments de linguistique générale, libraire Armand colin, paris, 1970, p09.

[4] أندريه مارتني ، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة نادر سراج، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص100.

ولا تقتصر وظيفة العناصر اللغوية على العلاقات الموجودة بينها، بل –أيضا– على موقع كلّ عنصر في البنية اللغوية. وهذا يعني أنّ المونيمات يجب أن تنتظم انتظاما صحيحا حتى تظهر كلّ وظيفة تركيبية لكل مونيم.

وقد جعل **مارتني** التركيب الإسنادي هو نواة الجملة. والتركيب الإسنادي كما هو معلوم يتكون من مسند (حكم) ومسند إليه (محكوم عليه)، وهذا التركيب هو تركيب مستقل لأنه يدل بنفسه على وظيفته، أما بقية العناصر فمتعلقة به وهي تكملات تضاف لتحديد الزمان والمكان أو لتخصيص أحد عناصر الإسناد، فإذا حذفناها لا تختل الجملة، إذ إن الوقف ممكن بعد التركيب الإسنادي[5].

غير أنّ هذه الوحدات الخارجة عن التركيب الإسنادي لا يؤثر حذفها على نواة الجملة، ولا يمكن الاستغناء عنها في كلّ الأحوال. إذ إنها تسهم في تحديد المعنى الكلّي الشامل للجملة ويكن تقسيم هذه الوحدات أو الألفاظ إلى ثلاثة أقسام:

أ. **اللّفظة المستقلة Le monème autonome:**

ويتمثل هذا القسم في الوحدات التي تستقل برتبتها داخل الجملة، ولذلك فهي وحدات لا تكتسب وظيفتها من علاقتها مع بقية الوحدات، بل وظيفتها متضمَّنة في بنيتها. وهذا مثل ظروف الزمان كأمس Hier حيث يمكن أن تقع في مواقع مختلفة إلاّ أنّها تؤدّي الوظيفة نفسها.

ب. **اللّفظة التابعة Le monème dépendant:** تمثّل هذه اللفظة الوحدات التي تبقى دائما متصلة بغيرها حتى تحدد وظيفتها داخل الجملة، فهي وحدات لا تستقل بنفسها وإنما تبقى دائما تابعة، فالاسم المجرور –مثلا– في العربية مقترن بحرف الجر الذي لا بدّ أن يوجد حتى يتبيّن الاسم المجرور من غيره. وكذا الشأن بالنسبة للمضاف إليه، إذ يلزم أن يسبقه مضاف.

---

[5] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص106.

ج. اللفظة الوظيفية Le monème Fonctionnel:

سُمّيت هذه اللفظة بالوحدة الوظيفية لأنّها تحدد وظيفة عناصر أخرى، وهي وحدات لا وظيفة لها في ذاتها، إلاّ أنها تُكسب ما يأتي بعدها وظيفة معينة، وهذا مثل أدوات النّصب والجر وما شابهها في العربية.

2 - التقطيع المزدوج La Double Articulation

إذا كانت اللغة عند **مارتني** نظاما تواصليا؛ يتمّ من خلاله إيصال الأفكار والمشاعر إلى الآخرين، فإنّ هذا النظام اللّغوي يختلف عن غيره من بقية الأنظمة التواصلية، بأنّه قابل إلى التقطيع إلى مستويين: مستوى الوحدات الدالة، وتتمثل في المونيمات (Les monèmes) والمستوى الثاني مستوى ناتج عن تقطيع هذه المونيمات إلى وحدات أصغر هي الفونيمات أو الصواتم.

يقول مارتينيه:" اللغة أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية تحليلا يختلف من مجموعة إلى أخرى عن طريق وحدات ذات دلالة، وشكل صوتي هي اللّفاظم (Monèmes) وتقطع هذه اللّفاظم بدورها إلى وحدات مميزة متتالية هي الصواتم (Phonèmes) وعددها محدود في كل لغة، كما أنها تختلف أيضا من لغة إلى أخرى، من حيث طبيعتها وعلاقة بعضها ببعض"[6].

1. مفهوم الملاءمة Pertinence:

ينطلق "أندريه مارتني" لتحديد مفهوم الملاءمة، من أن كل علم له سماته الخاصة التي تتلاءم والبحث فيه، "ففي علم الحساب على سبيل المثال، نعتبر الأعداد بمثابة السمات المناسبة فيما يتعلق بهذا العلم، وفي علم الهندسة يكون التركيز على الأشكال الهندسية التي هي السّمات الواجب دراستها"[7].

والشأن نفسه بالنسبة للسانيات، إذ يجب أن نستخرج الوحدات التي تلائم البحث والتحليل، وتُهمل بقية السّمات التي لا فائدة منها في الدراسة، ولا تسهم في تحديد

---

[6] عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص233.

[7] ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ص256.

مستوياتها، وعليه "فإنّ اختيار وجهة النظر الوظيفية يستمد من الاعتماد الراسخ بأنّ كل بحث علمي يتأسس على إثبات ملاءمة ما، وأنّ الملاءمة التّواصلية هي التي تسمح بشكل أفضل فهم طبيعة دينامية اللغة"[8].

4- الاقتصاد اللغوي L'économie de La langue:

لاحظ "مارتينيه" – أثناء دراساته اللغوية – أنّ المتكلم يستعمل مفردات قليلة إلاّ أنه يستطيع من خلالها نقل معان عدة فحاول استثمار هذه الفكرة في مجال التّطور اللّغوي، وطبّق إيّاها على النّظام اللغوي بجميع مستوياته، وفي مقدّمتها المستوى الصوتي، موضّحا معنى الاقتصاد في هذا المستوى "بأنّه الاكتفاء بالقليل من الحروف، مع إمكانية تغطية كل حاجات التعبير"[9].

مع العلم أنّ هذه الحروف القليلة المعبّرة عن معان كثيرة، أو المُلبّية لأغراض، لا يوجد بينها تعارض أو التباس يقول "مارتينيه": "إنّ عدد العمليات اللفظية البسيطة التي لا يمكن أن تلتبس بعضها ببعض في نظام صوتي قليل. ويمكن أن يزداد عددها بتركيبها بعضها في بعض وخاصة التي تقبل التركيب.. إذ لا تمانع العمليات الأخرى وذلك مثل اهتزاز الأوتار الصوتية، فإنها لا تعارض أبدا حركات الشفتين أو حركات اللّسان، ولا تمنع الصوت الذي يحدث هذا الاهتزاز إدراك السامع لاحتكاك الحروف الرخوة"[10].

---

[8] أندريه مارتينيه، وظيفة اللسن وديناميتها، ص97.

[9] عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، ص27.

[10] المرجع نفسه، ص28.